



جامعة القاضي عياض
UNIVERSITÉ CADI AYYAD
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines

مجلة العلوم الإنسانية

خفاف

مجلة علمية محكمة



العدد الثالث - 2019

صفاف

مجلة علمية محكمة

العدد الثالث - 2019

مجلة فصلية علمية ومحكمة تصدرها كلية الآداب والعلوم الإنسانية
بجامعة القاضي عياض - مراكش - المغرب

المدير : عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية
عبد الرحيم بنعلي

المنسق العام : جمال راشق

اللجنة العلمية

السيدات والسادة الأساتذة:

GRAVARI BARBAS Maria, IREST, Université Paris 1 Panthéon-Sorbonne, France, **ELLOUMI Mohamed**, INRAT, Tunisie, **LAOUNA Abdellah**, CERGé, Université Mohamed V Rabat, **DEBARBIEUX Bernard**, Université de Genève, Suisse, **NAVARRO PALAZON Julio**, Escuela de Estudios Arabes des Granada, CSIC, Espagne, **SKOUNTI Ahmed**, Institut National des Sciences de l'Archéologie et du Patrimoine, Rabat, **GIRAUT Frédéric**, Département de Géographie, Université de Genève, Suisse, **HERNANDEZ ARMENTEROS Salvador**, Universidad de Granada, Espagne, **BOUBRIK Rahal**, Département de Sociologie, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Université Mohamed V de Rabat, **TOZY Mohamed**, UMRVIP et Sciences po, Aix en Provence, France, **PULVAR Olivier**, Université Antilles-Guyane, Centre de Recherche sur les Pouvoirs Locaux dans la Caraïbe – CNRS UMR 8053, **HILLALI Mimoun**, Institut Supérieur International de Tourisme, Tanger, Maroc, **PERALDI Michel**, directeur de recherche au CNRS et Centre Jacques Berque pour le développement des Sciences Sociales à Rabat (Maroc), **BOUMAZA Nadir**, Université Pierre MENDES France- Grenoble 2, **LANDEL Pierre – Antoine**, CERMOSEM, UJF, Mirabel – France, **PECQUEUR Bernard**, Institut de Géographie Alpine, PACTE (UMR CNRS 5194 – Université J. Fourier, Grenoble – France).

لجنة التحرير

السيدات والسادة الأساتذة

ثريا بركان- جمال راشق- خديجة الزاهي- سعيد بوجروف
عبد الرحيم بنعلي - محمد موهوب

عناوين التواصل

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صندوق بريد 3737

أمرشيش - 40000 مراكش - المغرب

الهاتف : 00212524302742 الفاكس : 00212524302039

البريد الإلكتروني : revueflm@gmail.com الموقع : http://www.flm.uca.ma.ac

الايداع القانوني: 2018PE0010

ردمدم: 2605-6410

لوحة الغلاف للفنان ماحي بنين

تعبر المقالات عن آراء أصحابها فقط

صفاء

مجلة العلوم الإنسانية

مجلة 'صفاء' كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش

شروط النشر

- مجلة ضفاف مجلة علمية محكمة تعنى بنشر الأبحاث والأعمال التي تدخل في مجال العلوم الإنسانية.
- مجلة فصلية.
- تنشر المجلة مقالات ودراسات وأبحاثاً أصلية لم يسبق نشرها ولا تقديمها للنشر.
- تخضع الأعمال المقترحة للنشر لشروط البحث العلمي المتعارف عليها من حيث التوثيق وذكر المصادر والمراجع المعتمدة.
- تعبر الأبحاث المنشورة بالمجلة عن آراء أصحابها.
- تقدم الأبحاث في نسخة مطبوعة ونسخة إلكترونية.
- تلتزم المقالات بالمعايير التقنية للنشر بالمجلة، فتكتب المقالات العربية بخط 14 Sakal majalla والمقالات بالحرف اللاتيني بخط 11 Times New Roman.
- تكتب الهوامش أسفل الصفحة بخط 10 Times New Roman.
- ينبغي ألا تزيد صفحات البحث عن 20 صفحة..
- يذكر الباحث اسمه واسم بنية البحث والجامعة-المؤسسة التي ينتمي إليها في الصفحة الأولى.
- يقدم الباحث ملخصاً لبحثه مستقلاً عن المقال.
- يكتب ملخص للبحث بلغة غير اللغة التي كتب بها.
- تخضع المقالات والبحوث المقدمة للمجلة للتحكيم، ويلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يقترحها المحكمون في أجل أقصاه 15 يوماً بعد توصله بها.
- تحتفظ المجلة بحقوقها في عدم نشر أي بحث لا يستجيب لشروطها.
- لا ترد الأبحاث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر.
- تحتفظ المجلة بحقوق التأليف وإعادة النشر الورقي أو الإلكتروني للمقالات المنشورة بها.
- المقالات المقدمة للنشر لا يجب أن تنتهك حقوق مؤلفين أو ملكية أطراف آخرين.



مجلة العلوم الإنسانية

مجلة علمية محكمة

العدد الثالث - 2019

إصدار كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة القاضي عياض - مراكش - المغرب

شكر

تتقدم هيئة تحرير مجلة "خفاف" للعلوم الإنسانية
بخالص تشكراتها لكل من ساهم في إغناء هذا العدد،
كما توجه شكرها الجزيل للأساتذة الأجلاء الذين لم
يتروا في قراءة المقالات وتقييمها وتعيمها.

هيئة التحرير

فهرس المحتويات

9.....	كلمة العدد
	عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية
11.....	تقديم
	عبد اللطيف البرنسي ومحمد الخداري
13.....	أنهار المغرب القديم من خلال المصادر القديمة
	عبد اللطيف البرنسي
23.....	توطین المدن المغربية التاريخية وعلاقتها بالنهر: محاولة في الجغرافيا التاريخية
	أحمد الحلاسي
47.....	النهر في الاستراتيجية العسكرية السعدية : واد المخازن أنموذجا
	توفيق محمد القبائي
65.....	المدن الواحية : تأثير التعمير ونمط العيش على البيئة بتزنت
	محمد مسكيت وخديجة الزاهي
85.....	مظاهر الهشاشة بالمجال الواحي المغربي، حالة واحات إقليم كلميم
	لحسن بلالي، صلاح الدين طبلاط، عبد القادر اسباعي، خلف الغالي
103.....	التقارب الثقافي الاسلامي الألماني "جوته أنموذجا"
	مولاي الصديق سلاح الحق

- الذاكرة الجمعية الاستهلاكية دراسة في سوسيلوجية الاستهلاك والتبضع
 بالمساحات التجارية الكبرى بمراكش 121
 يوسف زكار
- الفلسفة والتقليد السحري بالأندلس : المجريطي ومدرسته 145
 محمد البوغالي
- الاقتضاء والحساب المنطقي للدلالة عند فريجه 175
 سعيد النكر
- شلاير ماخروإشكالية بناء قانون للثيولوجيا 201
 حمادي هباد
- الأحكام المسبقة والوعي التاريخي عند هانز غيورغ غادامر 227
 أحمد الفرحان

كلمة العدد

يسعدنا أن نقدم لجمهور القراء الأعزاء العدد الثالث من مجلة ضفاف التي تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، وهو عدد حافل بالمقالات العلمية الغنية والمتميزة، والتي حرصت هيئة تحرير المجلة ولجنة قراءتها على أن تعمل ما في وسعها لكي تخرج المجلة لعموم الباحثين من طلبة وأساتذة ومهتمين في أحسن حلة .

ونغتتم فرصة صدور هذا العدد، لنعرب عن تقديرنا البالغ للمجهودات التي تبذلها لجنة التحرير مشكورة، في مختلف مراحل إعداد وإخراج هذا المشروع العلمي الطموح سواء تعلق الأمر باختيار وانتقاء المادة العلمية، أو عمليات طباعة ونشر كتيبه، مقدرين حرصها على الأصالة العلمية، واحترام ضوابط النشر.

إن النهج الأكاديمي المتبع، والخط التحريري الملتزم به، لمن شأنهما أن يكسبا هذه المجلة، ومن خلالها المؤسسة التي تنتهي إليها، حظوة كبيرة بين جبهة الباحثين، وأن يرقيا بها إلى مصاف الإصدارات العلمية المتميزة ليس على الصعيد الوطني والعربي فحسب بل على المستوى الدولي، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار المكانة التي تحظى بها جامعة القاضي عياض إفريقيا ودوليا. ويعود الفضل في كل ذلك إلى تضافر جهود الأساتذة والإداريين والتقنيين، فلهم منا جميعا جليل الشكر والثناء.

ويطيب لي أن أوجه تقديري كذلك للسيدات والسادة الأساتذة الباحثين الذين أغنوا هذا العدد بمساهماتهم العلمية القيمة، سواء المنتمين إلى كليتنا أو العاملين بمؤسسات جامعية أخرى، موجها الدعوة للجميع من أجل تجديد المشاركة وإغناء الأعداد المقبلة بدراساتهم وأبحاثهم، كما لا تفوتني الفرصة دون أن أوجه طلبتنا الباحثين الشباب في سلك الدكتوراه من أجل الانخراط الجدي في الإنتاج العلمي، وبلورة مشاريعهم البحثية في مقالات، تستجيب للمتطلبات العلمية والفنية التي يسعى هذا المنبر إلى نشرها.

لقد حرصنا أشد ما يكون الحرص على أن يصدر هذا العدد كسابقه، مستوفيا للشروط والضوابط العلمية والفنية، ولما بمختلف التخصصات المعرفية في العلوم الإنسانية. ومن جهة ثانية أن تكون محتويات هذا العدد وفقا للمسار الذي رسمناه جميعا للمجلة باعتبارها منبرا للقراءات والمقاربات المنهجية والدراسات الجادة التي يقترحها مختلف الباحثين المتخصصين في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومما زادنا سرورا وغبطة كون

الأبحاث التي يتضمنها هذا العدد، سواء المقدمة باللغة العربية أو الفرنسية، تطرح مجموعة من القضايا المعرفية والمنهجية، كما تطرح بعض المقاربات الاستمولوجية، إضافة إلى المقترحات العلمية والتطبيقية في ميادين متعددة تعنى بالإنسان والمجال الطبيعي بكل أنماطه الاقتصادية والاجتماعية والبيئية. وهي مساهمات علمية رصينة لمختصين بارزين وباحثين شباب في الجغرافيا والتاريخ وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والفلسفة.

أملنا أن يجد القارئ الكريم ما يشبع نهمه العلمي ويغذي زاده المعرفي من خلال المواد المنشورة، وسعينا كذلك أن نكون قد أسهمنا في مواصلة بلورة الهدف النبيل الذي تنشده مجلتنا، حتى تكون منبرا علميا جديرا بالتقدير، يجد فيها الباحثون ضالهم، ويتحقق من خلالها الإشعاع الكبير لمؤسستنا ولجامعتنا.

والله ولي التوفيق

عميد الكلية

ذ. عبد الرحيم بنعلي

تقديم

لعب الماء دورا مهما في نشوء الحضارات وفي تطور المجتمعات الإنسانية، وبالرجوع إلى اهتمامات الباحثين بموضوع الماء نلاحظ أن ظهور الإيكولوجيا كحقل معرفي سمح، ومنذ مؤسسيه الأوائل أمثال (Jean- Baptiste Lamarck - Alexander Von Humboldt)، لباحثين من حقول معرفية مختلفة بالوقوف عند أهمية الماء ومعالجة قضاياها انطلاقا من اعتباره عنصر اندماج الإنسان في بيئته.

أفضت هذه الدراسات والأبحاث إلى اعتبار الماء عنصرا فعالا وبنويا في العلاقات المجتمعية والإقليمية والدولية، وضروريا في بناء السياسات العمومية. تعامل المجتمع المغربي، كباقي المجتمعات، عبر حقه التاريخية مع عنصر الماء في حل كثير من قضاياها السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

يصعب جدا تناول موضوع "الماء" في يوم دراسي أو في لقاء علمي واحد، بل لا بد من تنظيم حلقات ولقاءات دراسية متتالية. وارتأت شعبة التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة القاضي عياض ومجموعة البحث: "الماء : التاريخ والتراث"، المنتمية لمختبر "المغرب والحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط: التاريخ - التراث- الموارد"، ومختبر "الجبال الأطلسية : المجالات الترابية والتنمية المستدامة"، أن يكون أول موضوع في سلسلة هذه الحلقات هو "النهر في تاريخ المغرب" من خلال عقد ندوة وطنية يومي 30- 31 ماي 2013 م برحاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش، من خلال محورين أساسيين:

- المحور الأول : النهر والاستقرار، الذي ركز على دور الأنهار في استقطاب واستقرار

الإنسان وفي تطور التجمعات السكنية والمدن.

- المحور الثاني: النهر والأنشطة الاقتصادية، الذي عالج ارتباط بعض جوانب النشاط

الاقتصادي بالأنهار.

لم تقتصر مداخلات الزملاء السادة الأساتذة المشاركين في الندوة على المحورين المذكورين، بل شملت مواضيع أخرى عالجت موضوع النهر من خلال مقاربات مختلفة في أربع جلسات :

- أسطوغرافية النهر بالمغرب.

- النهر والتجمعات السكانية.

- النهر : الاقتصاد والمجتمع.

- النهر بالمغرب: تاريخ وتراث.

وننشر في مجلة ضفاف للعلوم الإنسانية بعض مداخلات الندوة التي توصلت بها هيئة تحرير المجلة، والبعض الآخر سبق أنه نشره السادة الأساتذة في مجلات متخصصة.

ذ. عبد اللطيف لبرينسي

ذ. محمد الخداري

المدن الواحية : تأثير التعمير ونمط العيش على البيئة بتزنيت

محمد مسكيت¹ وخديجة الزاهي²

جامعة القاضي عياض، مراكش

Résumé

Les villes oasiennes, en tant qu'espaces fragiles, subissent actuellement des changements tellement profonds soit au niveau environnemental, économique ou social. Certes, la relation entre l'urbanisation et l'environnement est complexe, vu ses diverses dimensions, mais nous essayons d'adopter à la fois l'approche interdisciplinaire, et la dimension diachronique et synchronique afin d'analyser, simultanément, le processus contextuel de la dégradation et l'équilibre de l'environnement urbain, tout en dépassant la vision négative portée à l'urbanisation. En se référant aux archives historiques, les entretiens semi-dirigés et les cartes géographiques, nous mettons en corrélation l'expansion urbaine de la ville de Tiznit, située au sud du Maroc, et la situation de son espace agricole et hydraulique.

Notre objectif consiste à démontrer que l'urbanisation de Tiznit participe à la reconfiguration perpétuelle et équilibrée de son environnement, depuis des décennies, grâce à une vigilance institutionnelle et civile. Nous nous arrêtons, tout d'abord, sur sa fondation et la gestion communautaire des ressources hydrauliques et agricoles jusqu'au Protectorat. Puis, nous traiterons l'articulation entre les grandes étapes d'urbanisation d'un côté; l'eau et l'espace agricole d'un autre côté. L'article se clôt sur l'élaboration des projets de la mise en valeur de la source bleue «Ain Zerka» et l'espace irrigué «Targa n Tiznit», comme une action symbolisant l'harmonie entre l'urbanisation et l'environnement.

مقدمة

ترتبط المدن قديما بوشائج وثيقة مع مجالها البيئي الطبيعي، نظرا للمكانة البارزة التي يحتلها النشاط الفلاحي في أنشطة سكانها، وبفعل كون الحفاظ على مختلف مواردها الطبيعية يدخل ضمن عملية السهر المستمر على توفير الموارد الضرورية للعيش. وقد ساهم ذلك بشكل كبير في استدامتها، غير أن التحولات التي شهدها المجال الحضري على مستوى بنياته الاقتصادية والاجتماعية منذ القرن 19 بأوروبا ومنذ الحماية بالمغرب، أدى إلى رسم علاقات جديدة بين البيئة الطبيعية والمدينة. ويبرز ذلك بشكل جلي عند المقارنة بين التحولات التي شهدتها المدن الواحية في الماضي، والتحديات التي تعيشها حاليا.

1 طالب باحث بسلك الدكتوراه، مختبر المغرب والحوض الغربي للمتوسط: التاريخ - التراث - الموارد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة القاضي عياض - مراكش

2 أستاذة علم الاجتماع بكلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة القاضي عياض - مراكش

احتضنت الواحات¹ الإنسان ووقّرت له مستلزمات الاستقرار (الماء – الأرض - المراعي...)، فخلق آليات تديرية لاستغلال مؤهلاتها الطبيعية بشكل مستدام. استطاع بفضلها مواجهة التقلبات المناخية وتبعاتها الغذائية والصحية، سواء أثناء فترات الجفاف الحاد أو سنوات الفيضانات القاسية، لكنها تبقى أوساطا طبيعية هشة سريعة التأثر سلبا وإيجابا بمختلف الإكراهات. لقد تحولت بعض الواحات المغربية، على الأقل منذ العصر الوسيط، إلى مدن واحة (تافيلالت – مراكش...)، بالارتكاز على النشاط الفلاحي والتجاري، فاكتمت التعمير شيئا فشيئا مجالها الزراعي والأخضر؛ ومع تزايد حدته وما رافقه من تغيّر للسلوكات والأنظمة التدبير ونمط العيش، خصوصا خلال فترة الحماية وبعدها، غدا ذلك التوازن البيئي القديم مختلا بشكل واضح، حيث تشكلت بعد ذلك روابط حضرية-بيئية بمنطق وأسس جديدة.

لا تخرج تزييت عن ذلك المسار، إذ كانت واحة غنية يعتمد سكانها على الفلاحة كنشاط أساسي، وارتبط مجالها العمراني بشكل متين مع مجالها الزراعي. وانتقلت بشكل تدريجي إلى مدينة واحة، لا تحتل فيها الفلاحة إلا مركزا ثانويا، بيد أن التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي عاشتها، خصوصا خلال وبعد فترة الحماية سُرّعت وتيرة إعادة هيكلة العلاقة بين وسطها الحضري ومكونات بيئتها الطبيعية.

وما دام مفهوم البيئة فضفاضاً ومتشعباً ويشير إلى كل ما يحيط بالإنسان، حتى أصبح الحديث عن بيئة اجتماعية واقتصادية وغيرها²، فإننا سنقتصر في هذه المساهمة على تناول أثر التعمير ونمط العيش كسلوك بشري على عنصري المياه والمجال الزراعي باعتبارها إحدى مكونات البيئة الطبيعية. انطلقنا من كون التوسع الحضري وما يفرزه من تغيرات بيئية يستتبعه بالضرورة بلورة علائق جديدة وتوازن جديد. أي أن المدينة الواحية لا تقضي بالضرورة على مجالها الطبيعي، بل إن التحولات التي تشهدها لا يمكن إدراجها بالضرورة ضمن وضعية التدهور والتراجع، بقدر ما تنخرط ضمن مسار تاريخي ومنظومة دائمة التغير

1 يدل مفهوم الواحة على مجال زراعي خصب يعتمد على السقي في وسط قاحل، حيث شح التساقطات المطرية وارتفاع درجة التبخر ونُدرة المياه، فضلا عن محدودية الغطاء النباتي (النخيل بالأساس). ورغم ذلك فهي تشكل وسطا للاستقرار البشري وتنظم حياة سكانها حول المياه. لهذا فوجود المياه هو منطلق ظهور الواحة، لكن العمل الدؤوب هو الذي يبنّيها.

Toutain G., Dollé V., Ferry M., situation des systèmes oasiens en régions chaudes, in Dollé V.(ed.), Toutain G.(éd), les systèmes agricoles oasiens, Montpellier: CIHEAM, 1990, 7-18
Battesti V., *Jardins au désert évolution des pratiques et savoirs oasiens*, Jerid tunisien, Paris, 2005, p.37

2 الضيع عبد الرؤوف، علم الاجتماع وقضايا البيئة، مداخل نظرية ودراسات واقعية، دار الوفاء، مصر، 2004، ص 52.

للبحث عن توازن مختلف عناصرها. ومنه، فمساهمتنا تدرس عنصري التعمير ونمط العيش كفاعلين في إعادة تشكيل المجال الفلاحي والمائي بتزيت وليس تدهوره وتراجع.

وتبني فرضيتنا على تداخل عنصرين في تشكيل تلك العلاقة. يتمثل العنصر الأول في الدور التاريخي الفعال الذي لعبه التعمير والتنظيم الاجتماعي للموارد الطبيعية في تشكيل المجال الزراعي للمدينة، باعتبار التكامل والتداخل والتفاعل القائم بين المكونين. كما أفضى ذلك إلى تكوين ذاكرة جماعية ذات بعد رمزي وتراثي حول المجال المسقي، ما زالت تساهم بشكل قوي في مسار البحث عن توازن العلاقة بين التعمير والبيئة الطبيعية للمدينة.

وينطلق العنصر الآخر من كون تراجع التنظيم التقليدي للموارد الطبيعية، تشكّل على أنقاضه تعزيز وتوطيد مكانة الفاعلين المحليين- المصالح العمومية وجمعيات المجتمع المدني- وفق توجهات تنمية جديدة، جعلت من توازن العلاقة بين التعمير والمياه والمجال الزراعي، إحدى أولوياتها.

ونسعى من خلال تلك الترابطات، إلى المساهمة في النقاش الدائر حول علاقة التعمير بتدهور المجال البيئي، والأهمية التي تكتسبها الفلاحة الحضرية بيئيا واقتصاديا من جهة، ودور حيوية المجتمع في خلق التوازن بين المدن ومجالها البيئي الطبيعي من جهة أخرى.

المنهجية :

انطلقنا من كون دراسة الإشكاليات البيئية عموما وعلاقة التعمير بالمجال الزراعي داخل المدن خصوصا تستلزم دراسة تاريخ العلاقة بين الإنسان والمجال، أي أن الذاكرة الجماعية والتاريخ يشكّلان إحدى الآليات المهمة في معالجة الموضوع. إنهما يسمحان بالوقوف عند مختلف التحولات من حيث أسبابها ووتيرتها وإكراهاتها. واعتمدنا في ذلك على نظرة دينامية وشمولية للعلاقة بين العنصرين، مع تجاوز المنطلق الانقسامي للعلاقة بين الوسط الحضري والزراعي، الذي يعتبر أن المجال الفلاحي من اختصاص المصالح الإدارية الساهرة على الشؤون الفلاحية (وزارة الفلاحة ومصالحها الخارجية)، بينما تتولى المصالح التابعة لوزارة السكنى والتعمير الشؤون المتعلقة بالقضايا الحضرية. كما أننا تعاملنا مع الموضوع انطلاقا من وصف الضغط الذي مارسه التعمير على المياه والمجال الزراعي وآثاره، وإبراز تفاعل المجتمع مع تلك الوضعية، ثم تحديد التفاعلات القائمة بين مختلف العناصر المتدخلة في ذلك.

لقد ركزنا في هذا الصدد على ما تختزنه المصادر التاريخية والأرشيف من معطيات، وتحليل خرائط وصور لتطور التعمير والمجال الزراعي، وكذا خلاصات معائنات ميدانية ما بين شتنبر سنة 2015 وغشت سنة 2016 لتزيت ومقابلات شفوية نصف موجهة مع الفلاحين والفاعلين المدنيين والمصالح البلدية المكلفة بالبيئة، فضلا عن خلاصات الورشات التي أقيمت بهذا الصدد في إطار "برنامج زرقاء"¹.

بناء على ذلك، سنتناول في النقطة الأولى نشأة التجمع السكاني لتزيت وتدير الموارد الطبيعية، قبل الانتقال نحو الحديث عن تطور التعمير كنشاط بشري وأثره على المياه والمجال الزراعي، ثم سنخصص النقطة الأخيرة لدراسة فعالية المؤسسات العموميات المحلية وجمعيات المجتمع المدني في الحفاظ على التوازن البيئي للمدينة.

1. التعمير الأصلي والتدبير التقليدي للموارد الطبيعية

تحتفظ بعض المصادر الإخبارية² والذاكرة الشعبية في المدينة بحكاية بداية الاستقرار بتزيت، إذ يتم تداول أن كلب إحدى النساء "زنيية"، قام بالنبش في مكان "العين أقديم" حتى استخرجها، وذلك أثناء حلولها بالمنطقة قادمة من أقصى جنوب البلاد هروبا من جفاف قاس، لتنصب بعد ذلك خيمتها بالقرب من منبع العين. فشكل ذلك نواة الاستقرار الأولى بالمنطقة. ورغم طابعها الأسطوري وكونها لا تخرج عن مضمون أساطير نشأة معظم واحات الجنوب المغربي، التي تربط على العموم بروزها وبداية الاستيطان البشري وسطها باكتشاف المياه من طرف شخصية أسطورية، فإنها تُبين الدور الكبير الذي شكلته المياه في انطلاق أول عملية للتعمير.

وإذا تجاوزنا مسألة اكتشاف العين ونشأة تجمع تزيت وصمت المصادر الإخبارية عن ذكره حتى القرن 16، فإن عدة قرائن تظهر أن بداية الاستقرار ترجع إلى القرن الثالث عشر، حيث اتخذ الرعاة الوافدون من الجنوب والأطلس الصغير موضع تزيت مستقرا لهم. وذلك للاستفادة من الموقع الاستراتيجي لهذا المجال على محور الطرق التجارية الرابطة بين شمال وجنوب المغرب ومن وجود الماء والمراعي³.

1 نندرج هذه المساهمة في إطار مشروع بحث أوروبتي :
ZERKA : la source bleue et l'urbanisation des oasis de Méditerranée.

أشرف عليه:

Marc Breviglieri (HETS-Genève) et David Goeury (laboratoire Espaces Nature et Culture de Paris IV-La Sorbonne)

2 السوسي محمد المختار، خلال جزولة، ج.2، مطبعة المهديّة، تطوان، 1959، ص.ص.189-191
3 بومزكو أحمد، جوانب من تاريخ تزيت أطوار تعمير المنطقة وأصول السكان، ضمن أعمال ندوة : مدينة تزيت وبدايتها في الذاكرة التاريخية والمجال والثقافة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، سلسلة الندوات والأيام الدراسية، 1996، ص.25.

وبدأ اهتمام المصادر الإخبارية بذكر تزينت في سياق استعداد السلطان "المولى الحسن" للحركة إلى المنطقة سنة 1882، فانطلق الحديث عنها بإسهاب، باعتبارها عاصمة للسوس الأقصى¹. ولم يكن يحيط بها آنذاك إلا سياج قصير من الطوب الذي يحيط عادة بالبساتين².

وفي هذا الإطار، يصفها "الكانوني" بشكل واضح بعد تسويرها من طرف السلطان "المولى الحسن الأول": «...على رغم وفور (وفرة) المياه ولا يزال الإصلاح بها متتبعا كانت أوليتها مدشرا كبيرا [...] وحواليه إشارات لدفاع عادية القبائل ولما مرّ بها السلطان المولى الحسن رحمه الله [...] أمر بتسويرها و أمر برسم مساحة كبيرة³». لكن نظرا لمحدودية المياه والموارد المالية، فقد بقيت آنذاك عدة قرى متباعدة ومتناثرة بسهل تزينت، تابعة لقبيلة تزينت خارج السور "كتدوارت" و "أتبان" و "العوينة"، وهي مناطق فلاحية تضم مصادر مائية مهمة.

وبالموازاة مع ذلك، أصبح المجال الزراعي مُقسما إلى شطرين: جزء محمي بشكل جيد داخل السور ويتكون من مجموعة من الحقول البورية وأشجار النخيل والزيتون، وجزء خارج السور مسقي بمياه "العين أقديم" ومحاط بسياج نباتي وترابي، يضم حقولا من الذرة وأشجار الزيتون والنخيل، يتأثر بالتقلبات والتزاعات السياسية والاجتماعية بالمنطقة، حيث تعرض لهجمات القبائل المحيطة بتزينت في مناسبات متعددة إلى حدود ترسيخ وجود نظام الحماية بالمدينة خلال مطلع القرن 20.

ونجد أن المجال المسقي خارج الأسوار يضم كل من: "تارگا أوسنكار" (الذرة)، وتتطلب السقي مرات عديدة وبين "تارگا ن زيت" (الزيتون) والتي لا تتطلب إلا قليلا من المياه، لذا كانت تعتمد في غالب الأحيان على مياه التساقطات المطرية. ويتم غرس مختلف الأشجار وفق بنية هندسية ثلاثية على المستوى العمودي، تبدأ بأشجار النخيل التي توفر الظل لأشجار الزيتون الأقل طولاً وتقوم هذه الأخيرة بنفس الدور بالنسبة للحبوب والخضر، الشيء الذي يوفر للمزارع "ميكرومناخ" مُميّزا. وخلال فترات الجفاف القاسية يتم توجيه مياه السقي للحبوب، التي تعتبر مادة الاستهلاك الأساسية.

1 انظر حول المقصود بسوس وسوس الأقصى: أفا عمر، مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر (سوس 1822 - 1906)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، سلسلة أطروحات ورسائل رقم: 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1988، ص.ص. 65-70.

2 السوسي محمد المختار، إلباغ قديما وحديثا، المطبعة الملكية، الرباط، 2005، ص.ص. 241-242.

3 الكانوني محمد، أسفي وما إليه قديما وحديثا، ص. 57 (د.ط.).

لم تشكل تلك المزارع بمعية "العين أقديم" مجالا للصراع القبلي والقلب النابض ورنه المدينة فحسب، بل كانت موردا معيشيا ومجالا للتلاحم الاجتماعي بين كل مكونات المدينة. ويتخذ هذا الأمر عدة مظاهر، فالأشغال المرتبطة بالسقي والزراعة من تنقية القنوات المائية وجني التمار، وكذا عادات الزواج بجنابات العين، كانت مناسبة لتمتين العلاقات مع مكونات الوسط الطبيعي وتقوية الترابط بين المجال التعميري والزراعي.

وفي هذا الصدد، أنشأ "آل تزنييت"، نظاما اجتماعيا لتنظيم استعمال المجال الزراعي والمياه على الأقل منذ سنة 1861، وذلك بوضع لُوحٍ عرفي يعطي صورة عامة عن ذلك التنظيم. يوضح ويقن العقوبات والذعائر ضد المخالفين للقواعد المنظمة للشؤون الزراعية خاصة والبيئية عامة. ويُفصل في اختصاصات مختلف المتدخلين في الشؤون الزراعية على رأسهم "لجماعت القبيلة"، التي تمثل مختلف فحدات المدينة. وكذا أمناء الساقية و"إمزالن" (القيّمون على شؤون الساقية الذين تؤدي أجورهم عينا في الغالب). علاوة على تقنين تصرفات الملاك إزاء المياه والمجال الزراعي المشترك (الممرات - السواقي - العين...) والخاص (الحقول - الأشجار - ووسائل الإنتاج...). وتتحدد المجالات التي ينظمها هذا اللوح في: ضوابط كراء المياه وولوح المزارع وضبط مهمة "إمزالن" الساقية، وتنظيم إعلان نوبات الماء وسرقة المياه ووضع آليات إصلاح السواقي وعقوبات قطع وقلع الأشجار والمزروعات أو إتلافها. ومن هذا المنطلق، فهو يسهر على ضمان حقوق وواجبات مختلف المتدخلين وفق منظور التضامن بين الملاكين¹. مع الحرص على استمرارية توازن المجال الزراعي.

بالموازاة مع هذا التنظيم الاجتماعي، اعتمد التزنييتيون على ضوابط تقنية لاستغلال الموارد المائية عن طريق تخزينها في أحواض ونطفيات وتعبئتها على شكل آبار مزودة "بالمكروض"² وسواقي وخطارات، مثل خطارة "عين أقديم" التي شكلت الشريان الرابط بين الجزء المسور من المدينة والمجال الزراعي المسقي، فضلا عن تقسيمها على شكل أنصبه محددة اعتمادا على تقنية "تاناست"³.

1 مسكيت محمد، الندرة المائية في تاريخ المغرب: تزنييت ومحيطها ما بين 1778-1917، بحث لنيل شهادة الماستر، إشراف محمد أو جامع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية القاضي عياض مراكش، الموسم الجامعي 2013-2014، ص. 108-110

2 يطلق عليها في المغرب عدة ألفاظ منها: السانية و"أغرور" و"الوكاف" والناعورة، وهي تقنية تعتمد بالأساس على الدابة لضخ المياه من البئر.

3 هي إناء نحاسي، على شكل نصف كرة غير هندسية توضع في سطل ماء، يخترقها ثقب في قعرها يتسرب منه الماء، ويعتبر مقدار فتحة هذا الثقب وحجم "تاناست" الميزان الذي تقاس به المدة الزمنية اللازمة لضبط كمية الماء أثناء التقسيم

ووفق هذا المنوال، استطاع التنظيم التقليدي أن يحافظ على روابط متينة بين المجال الزراعي من جهة، والمجال الحضري من جهة أخرى. ويظهر من خلال ما تقدم أن أثر التعمير بقي محدودا على المجال الزراعي، إذ كان عدد السكان نسبيا قليلا¹، ويقطنون في قصبات عائلية مع احترام للمجالات الزراعية التي تشكل أساس اقتصادهم وتغذيتهم. وهو ما توضحه الرحلات الفرنسية إلى المنطقة قبيل الحماية بالقول إن تزنييت «واحة كبيرة طولها حوالي أربع كيلومترات»². ويدفعنا هذا الأمر إلى تحليل العلاقة بين التعمير الكثيف وتطور المجال الزراعي والمياه الجوفية، وذلك بتتبع مسار العنصرين عبر الزمن.

2. مراحل التعمير وأثارها على الموارد البيئية: الماء والمجالات الزراعية

يشكل تحديد عدد سكان المغرب بشكل دقيق، بناء على المعطيات الإخبارية لما قبل فترة الاستقلال مجازفة كبيرة، لأن ظروف وضعها وطبيعة واضعها (الرحالة الأجانب وضباط الشؤون الأهلية في الغالب)، علاوة على ارتكازها على "القبيلة" كوحدة إحصائية عوض المدينة المسورة، جعل تلك الأرقام تقريبية، لكن لن يعفينا ذلك من الاستعانة بها لإعطاء صورة عامة وشاملة عن تطور عدد سكان تزنييت.

الجدول رقم 1: إحصاء سكان تزنييت خلال فترة الحماية

سنة الإحصاء	عدد السكان
1913	قدر ب 7000-8000
1947	8362
1952	6559

المصادر:

Cap .Haring, itinéraire d'Agadir à Tiznit, 1913, Protectorat Maroc, territoire et région d'Agadir, fiches et notices de tribus, Tiznit, 1913-1926, Centre des Archives Diplomatiques de Nantes, cote. 1MA/285/38, (s.p)

Cap.Salvy, fiche de tribu, Ahl Tiznit, 26 février 1946, Archives de Vincennes, Paris, cote: 3H2007 (s.p.)

Lt. Charles Dominique, fiche de la tribu des ahl Tiznit, 1 mars 1953, Archives de Vincennes, Paris, cote : 3H2007, pp. 2-3

1 وبناء على إشارات مصدرية مختلفة، اعتبرنا أن عدد السكان بتزنييت كان خلال سنة 1885 حوالي 1000 نسمة، وتم الحديث حوالي 3000-4800 نسمة سنة 1904.

Erckmann J., *Le Maroc modern*, éd. Challamel, Paris, 1885, p.56

De Segonzac M., *Voyage au cœur de l'Atlas*, mission au Maroc 1904-1905, éd. Emile Larose, Paris, 1910, p.592

2 De Segonzac M., *Voyages au Maroc (1899-1901)*, pub. BNRM, Al maarif Aljadida, Rabat, 2 éd., 2009, p.272

كان إجراء إحصاء سنة 1913 في سياق بداية التواجد الفرنسي بالمنطقة، فكان هدفه عسكريا بالدرجة الأولى للتعرف على الإمكانيات العسكرية للمدينة، وُبيّ على أساس عدد "الكوئين" أي الأسر الممتدة التي يحتضنها في الغالب منزل واحد (معدل 6-7 أفراد). وهكذا تم تقدير عددها في 1250 كانون. وأتى إحصاء سنة 1947 بعد المجاعة الرهيبة التي عرفها المغرب سنة 1945 من أجل تحديد عدد الأسر المستفيدة من قسيمة السكر والشاي. أما الإحصاء الأخير، فُيبل الاستقلال، فكانت غايته توفير المعطيات الديموغرافية الضرورية لوضع مخطط اقتصادي للنهوض بأوضاع المغرب.

والملاحظ أن عدد السكان بقي على العموم دون تغيير كبير، فلم يتم تسجيل فارق كبير ما بين بداية التواجد الفرنسي بالمدينة وقبيل الاستقلال، نظرا لما تعرضت له المدينة من هجرات مسترسلة سواء إلى باقي المناطق المغربية أو إلى الخارج.

بناء على تلك الاعتبارات، يمكن تحقيق التاريخ العمراني والبيئي لمدينة تزنيت على المنوال التالي :

1- تشكل مرحلة 1912-1956 فترة الاستغلال الكثيف للموارد البيئية للواحة، واعتماد آليات جديدة من طرف الاستعمار الفرنسي كتولييه مراقبة القواعد العرفية وتدخله في تعيين ممثلي الجماعة، وكذا إدخال مزروعات جديدة وتشجيع أصناف جديدة من الماشية. ورَسَّخ تصنيف المدينة المسورة (العتيقة) كتراث وطني سنة 1932 التمييز بين المجال الزراعي المسقي، المتواجد خارج السور من جهة، والمجال الحضري المرادف لما تحيط به الأسوار من جهة أخرى. فكان لذلك، بدون شك، دور بارز في تعزيز الفصل بين المجال الزراعي والحضري، بدل التداخل القوي القائم بين العنصرين. واكب ذلك الترويج "للعين أقديم" كمحطة سياحية، كما تم إفراغها من قيمتها الهوياتية والرمزية باتخاذها لإسم "العين الزرقاء"، الذي لا يحمل أي بعد رمزي¹. وغدت بالتالي المياه والمجال الزراعي ذات وظيفة سياحية، موازاة مع دورها الفلاحي والاجتماعي المعهود.

وتطلب تزويد الحدائق والمستنباتات الاستعمارية، بوسط المدينة العتيقة وعلى جنبات أسوارها، وكذا المؤسسات العمومية والمصالح العسكرية مياهها وفيرة، وهو ما ساهم في خلخلة التنظيم السقوي التقليدي. وقد تم هذا الأمر بشكل متدرج. تم توجيه ثلث المياه الآتية من

1 Naji Salima et al., Tiznit : ain akdim, la source à l'origine de l'oasis, DTG société Nouvelle, 2016, Rabat, p.7

عين "الركادة"¹ لسقي مزارع "تاركا"، قصد تموين المؤسسات والإدارات الاستعمارية خلال العشرينيات². وفي إطار تزايد حاجيات ساكنة المدينة من مياه الشرب، بعد ربط المنازل بشبكة المياه الصالحة للشرب، تمت إعادة النظر في تقسيم صبيب مياه "عين أقديم" خلال بداية الخمسينيات، حيث تم تخصيص نصفه لتلبية الحاجيات من مياه الشرب والاستعمال المنزلي، بينما بقي النصف الآخر مُقسما بين الفلاحين والإدارات الاستعمارية المختلفة³.

وبدأ أثر ذلك يظهر في تراجع المجال الزراعي داخل السور، وتنافس المجال الحضري والمؤسسات الاستعمارية مع الفلاحين المحليين في امتلاك مياه "العين أقديم" والأراضي الفلاحية. وذلك في الوقت الذي أصبحت فيه المتطلبات المائية للمجال الفلاحي في ارتفاع مهم، بعد تشجيع سلطات الحماية الفلاحين على اعتماد مزارع مستنزفة للموارد المائية ومتطلبية للسقي المستمر (مثال القطن والفصبة) وحثهم على تربية الأبقار عوض الماعز.

وإذا كانت المياه المشتركة "للعين أقديم" قد شكّلت محطّ تنافس شديد بين عدة فاعلين وخلخل ذلك التوازن بين المجال الحضري وامتداده الزراعي بمكوناته المختلفة، فإن هذه المرحلة شهدت تنامي البعد الفردي واشتداد التنافس في استغلال المياه الجوفية. لقد بلغ عدد آبار "المكروض" - ضخ المياه عن طريق الجر الحيواني - حوالي مائة بئر، قبيل الحصول على الاستقلال، فضلا عن عشرات من آبار الضخ الآلي والهوائي⁴. وإن سمح هذا الأمر بمد المجال الزراعي المسقي، فيبدو أنه أثر بشكل كبير على مستوى الفرشة المائية وعلاقة الإنسان بالموارد الطبيعية والعلاقات الاجتماعية، ليتم التأسيس لوضع بيئي جديد يهيمن عليه المنطق الفردي والبعد المادي والتنافس حول استغلال الموارد المائية المشتركة.

2- تبدأ المرحلة الثانية بحصول المغرب على الاستقلال حتى سنة 1975، إذ ما فتى عدد سكان المدينة يتزايد بوتيرة سريعة، خصوصا بعد القضاء على المجاعات والأوبئة الفتاكة. وتراجعت المؤسسات التقليدية المنظمة للعلاقة بين الإنسان والمجال الفلاحي (القبيلة-الأعراف...). تزامن ذلك مع تطور وسائل النقل وإمكانية الحصول على المواد الغذائية من

1 الركادة : منطقة تبعد بحوالي 15 كلم جنوب تزنيت وقد تم اكتشاف عين بهذه المنطقة سنة 1911، وكانت محط نزاع طويل بين أهل تزنيت وأيت جرار بقيادة القائد عياد الجراي

2 Naji Salima, et al, op.cit., p.8

3 Lt. Charles Dominique, op.cit., p.4

4 El Hebil A., la plaine côtière de Tiznit, in *Ressources en eau du Maroc*, domaine atlasique et sud-atlasique, t.3, éd. du service géologique du Maroc, Rabat, 1977, p. 212

مناطق بعيدة¹. كما شهد خلالها التعمير زحفا بطيئا على المجال الزراعي وسط المدينة وخارج السور المحيط بها، حيث توسّع على حسابها مثلا "حي البيض" و"لمرس" و"إكي ن تفلوين" و"دوترگا"، كما ظهر حي "قصبة البنان" بالقرب من ساحة المشور وغيره، فضلا عن إنشاء بعض المؤسسات الاجتماعية على حساب الأراضي الزراعية القديمة (مستوصف "إكي ن تفلوين"، الذي تحوّل مؤخرا إلى المعهد العالي للمهن التمريضية).

3- بدأت المرحلة الأخيرة من التعمير بعدما تحوّلت تزنيت سنة 1975 من مدينة صغيرة إلى مركز للإقليم، فشهد عدد السكان طفرة سريعة، كما يوضح الجدول الإحصائي التالي.

الجدول رقم 2 : تطور عدد سكان مدينة تزنيت ما بين 1971-2014

السنوات	عدد السكان
1971	11 ألف نسمة
1994	43 ألف نسمة
2004	53 ألف نسمة
2014	74 ألف نسمة

المصدر :

Haut Commissariat au Plan, recensement général de la population et de l'habitat de 2004, Rabat, p. 66

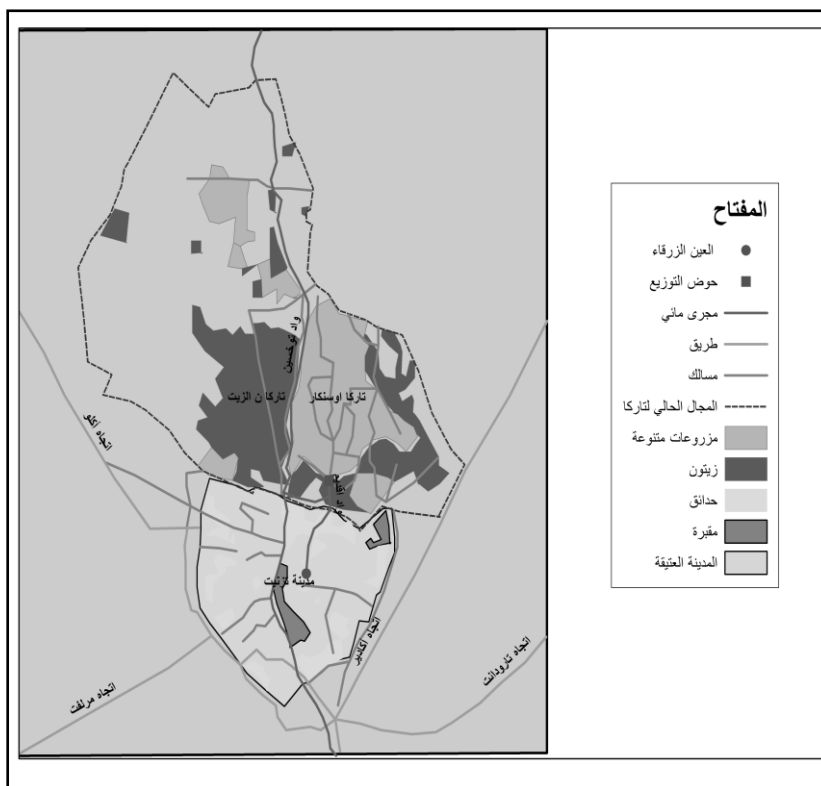
يبرز الجدول أعلاه، أن عدد سكان المدينة قد شهد زيادة سريعة ما بين 1971 و2014 مُنتقلا من 11 ألف نسمة إلى 74 ألف نسمة. ومعظم تلك الزيادات تم تسجيلها ما بين فترتي 1971-1994 و2004-2014، فخلالهما كانت زيادة عدد السكان حوالي 55 ألف نسمة. لقد خلق تحول المدينة إلى مقر عمالة الإقليم دينامية سكانية وعمرانية كبيرة، الشيء الذي فرض إيجاد مرافق إدارية جديدة ومناطق سكنية للأعداد المتزايدة من الموظفين الوافدين على المدينة، واکب ذلك نشاط قوي للهجرة القروية نحو المدينة². ولذلك أصبح المجال الحضري

1 Goeury David et Leray Louis-Emmanuel, résilience, résistance et reconnaissance, in *Revue Géographie et cultures*, N° 101, 2017, p. 59

2 نافع الحسين، إشكالية موضع وموقع مدينة تزنيت وأليات توسعها، ضمن أعمال ندوة: تزنيت وباديتها، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، 1996، ص.ص. 161-163

ولإبراز التحولات التي عاشها المجال الزراعي والمياه، في تناغم مع تطور التعمير خلال هذه المرحلة، سنقوم بتحليل خريبتين تعود الأولى إلى سنة 1971 والأخرى إلى سنة 2019، مستحضرين السياق التاريخي المُتحكم في تلك التحولات والملاحظات الميدانية للمجال.

الخريطة رقم 1: صورة جوية لتزيت ومجالها الزراعي سنة 1971



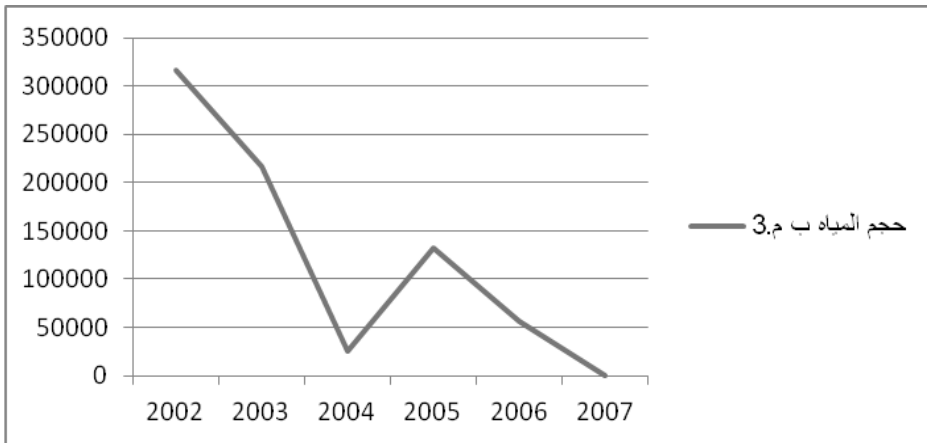
Goeury David et Leray Louis-Emmanuel, op.cit., p.65 : المصدر :

الفلاحين: "حضرنا تسمع فيه تغاريد الطيور وخيرير المياه وتحس داخله بالراحة والطمأنينة، ومستقرا وملجأ لمختلف الحيوانات والطيور".¹

وعلى الرغم مما قيل، ففي إطار البحث المستمر عن التوازن، فإن تراجع مساحة الأراضي الزراعية المجاورة والقريبة لسور المدينة، واكبه بروز توسع جد مهم للمجال الزراعي شمال المدينة بمنطقة "أتبان"، بفعل استعمال مياه محطة معالجة المياه العادمة في سقي المزروعات العلفية.

لا شك أن مختلف تحولات المجال الزراعي لها ارتباط وثيق بتراجع مياه السقي من جهة، وقوة الضغط العمراني من جهة أخرى. فأمام تنامي متطلبات الساكنة من مياه الشرب، توقّف تزويد مزارع "تارگا" بالمياه الآتية من "عين الرگادة" منذ سنة 2007، ليقصر سقيها على صبيب هزيل جدا من مياه "عين أقديم"، كما يوضح ذلك المبيان أسفله.

المبيان رقم 1: تطور حجم المياه الموجهة لمدينة تنزيت انطلاقا من "عين الرگادة"



Office national de l'électricité et de l'eau potable, branche eau, agence mixte Tiznit – Sidi Ifni, évolution de la production de la source Reggada entre 2002-2013, 2015

وإذا كان "عين الرگادة" يُعد أهم مُزود لمزارع "تارگا" بالمياه بفعل القناة التي أنشأها سلطات الحماية، فإن تطور عدد سكان بعض التجمعات السكانية القروية بالمنطقة، وتعاضل حاجياتها من المياه الصالحة للشرب، مثل "لخصاص" و"تلعينت"، دفع المكتب الوطني للماء الصالح للشرب لتزويد مدينة تنزيت انطلاقا من سد "يوسف بن تاشفين" وتوجيه نصيب

1 عمر بومهدي، فلاح بتارگا تنزيت، قابلناه يوم 18 غشت 2016م بتنزيت.

تزينت من مياه "عين الرگادة" نحو المداشر القروية المستفيدة من مد قنوات الماء الصالح للشرب. وهكذا غدا حوض "العين أقديم" مهملأ وأصبحت خطارته محطّ ربط عشوائي بشبكة التطهير، بفعل التوسع العشوائي للتعيمير. وكانت النتيجة فقدان "مزارع تارگا" لنصيبها من المياه بشكل نهائي. ورغم إنشاء محطة لمعالجة المياه العادمة "بتارگا ن زيت" ابتداء من 2007 كتعويض عن المياه التي توقفت عن التدفق نحو حقولهم، فإن الفلاحين لا يدخرون جهدا في المطالبة بضرورة إرجاعها.

وبالرغم مما قيل، فقد استطاعت أشجار النخيل والزيتون والعديد من حقول الذرة والخضروات الشموخ وتحدي التغيرات المناخية والاجتماعية بالمنطقة. وشكّل مد المجال المسقي خلال السنوات القليلة الماضية شمالا نوعا من التأقلم مع الوضع التعميري الجديد للمدينة، خصوصا إذا علمنا أن الوضعية العقارية الناتجة عن الإرث وتنامي النزعة الفردية ومنظور القيمة المضافة، جعل استمرارية الاشتغال وفق المنظومة والقواعد التنظيمية القديمة صعبا جدا. وفي هذا الصدد، حاول العديد من الفاعلين إعادة الاعتبار للمجال البيئي للمدينة وفق مقاربات تزواج بين الهم الإيكولوجي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

3. محاولات إعادة الاعتبار للمجال البيئي

إذا كان تدخل سلطات الحماية يبدو محدودا زمنيا ومجاليا، فقد كان له تأثير كبير على مسار العلاقة بين المجتمع والمجال الزراعي، باعتبار إدخاله لمنطق جديد لتدبير الموارد الطبيعية. إذ أضحى تديرها في يد المؤسسات العمومية الإدارية والمنتخبة، بدل التنظيم القبلي. ومنذ الاستقلال، تم ترسيخ وتعزيز دور المؤسسات العمومية (وزارة الفلاحة والبلدية والوكالة الحضرية) وجمعيات المجتمع المدني في تدبير الشأن المائي والفلاحي والتعميري. بيد أن تصور هذه المؤسسات متباين إزاء رد الاعتبار للمجال الزراعي الحضري، فالمؤسسات العمومية تتطلع إلى أن يصبح المجال الزراعي المسقي للمدينة مجالا عموميا إيكولوجيا ذات وظائف فلاحية- سياحية أو سكنية، بينما تشبث الجمعيات وبعض المنتخبين بالوظيفة الفلاحية المحضة. لكن المنظورين يشتركان معا في هم الحفاظ على المجال البيئي والوقوف أمام تزايد ضغط التعمير.

وفي هذا الإطار، برزت دينامية كبيرة وسط دواليب بلدية تزنيت منذ منتصف التسعينيات للحفاظ على المجال المسقي. وذلك بغرس أشجار الزيتون "بتارگا أوسنگار"

وتعويض السواقي التقليدية الترابية بسواقي إسمنتية مغطاة، من أجل تزويد المزارع بالماء انطلاقا من حوض تجميع المياه. وقد عارض الفلاحون هذا الوضع مُعتبرين أن السواقي الترابية مجال بيئي واقتصادي مهم، إذ يوفر العشب لمواشيهم ويمكن من زرع بعض المنتجات المطلوبة للمياه بوفرة والرطوبة، كما يسمح لمختلف الحيوانات والطيور بالحصول على المياه الضرورية لاستمرارها في العيش.

وشكلت سنة 2009، انطلاقة جديدة في تعامل البلدية والوكالة الحضرية مع المجال الزراعي المسقي. وذلك بوضعهما لتصميم التهيئة، اعتبر "تارگا" مجالا للفلاحة المعيشية يُمنع فيه البناء. هذا فضلا عن توقيع اتفاقية سنة 2011 مع جمعية "أبريناز" من أجل حماية وتهيئة وتتبع شؤون ذلك المجال. وتعزز هذا الأمر بوضع برنامج عمل متكامل لتهيئته ابتداءً من سنة 2015 انطلاقا من مفهوم الفلاحة الحضرية¹، الذي تعود أصوله إلى تاريخ قديم مرتبط بظهور المدن. لكن بعد الثورة الصناعية ارتكزت المدن الرأسمالية الأوروبية على الصناعة في وسط بيئي مختلف، ذي إمكانيات مائية مهمة². ومن خلال المقابلات التي أجريتها بهذا الخصوص، تبين أن بعض المنتخبين المحليين يعتبرون أن وجود المزارع وسط المدينة يتنافى مع مفهوم المدينة، وبناء على ذلك يجب تحويلها، في نظرهم، إلى منتزه سياحي أو تجزئة عمرانية.

في ظل هذا السياق العام، برزت التنظيمات المدنية لتدبير علاقة الإنسان بالبيئة، مدعية كونها استمرارا للتنظيم الاجتماعي القديم، قصد إعادة التوازن لعلاقة الإنسان بالوسط البيئي. فقد تمكنت جمعية "أبريناز" لتدبير السقي "بتارگا" منذ تأسيسها سنة 2004 بدعم من البلدية، من السهر على الشأن البيئي والمرافعة لدى السلطات العمومية قصد حماية وتطوير مزارع "تارگا" و"العين أقديم" والمساحات الخضراء داخل المدينة وتوعية تلاميذ المؤسسات التعليمية بأهمية الحفاظ على المجال الأخضر والمساحات الزراعية، وكذا التعريف بالتنوع البيئي داخل تلك المزارع، علاوة على إعادة هيكلة الخطارة الرابطة بين "العين أقديم" ومزارع "تارگا" وتنقية صهريج تجميع المياه. وبفضل تلك الجهود تم إحياء عملية السقي رغم ضعف الصبيب، وإعادة الحياة إلى العديد من المزارع والبساتين.

1 Goeury David et Leray Louis-Emmanuel, op.cit., p. 70

2 Vallette Elodie et Philifert Pascale, l'agriculture urbaine : un impensé des politiques publiques marocaine?, in *Géocarrefour*, N° 89, 2014, 75-83

تواجه المشاريع التي تحملها هذه الجمعية، بناء على تصريحات أعضاء مكتبها¹، عدة حواجز لعل أهمها تعدد الفلاحين وتواجد معظمهم خارج المدينة والتجزئ الكبير للمساحات الزراعية وضغط اللوبيات العقارية، علاوة على ضعف صبيب المياه الموجه لسقي تلك المزارع.

الصورة رقم 1: العين أقديم (العين الزرقاء) سنة 2012



المصدر : عدسة شخصية، محمد مسكيت، 10 شتنبر 2012

وبخصوص إعادة الاعتبار "للعين أقديم"، فقد نادى الساكنة، عن طريق المنتخبين، ومعهما المجتمع المدني بإعادة الاعتبار للنواة الأولى لتأسيس المدينة، فقامت بلدية تزنت بشاركة مع مؤسسة العمران بوضع مشروع "إعادة تأهيل العين الزرقاء"، من أجل إدماجه في النسيج الحضري والسقوي للمدينة. بُنيت هذه الفكرة على تحويله إلى مجال عمومي لاستجمام الفئات الاجتماعية الهشة، بدل إغلاقه وتسويره. وبدأت أشغال إعدادة بعد مشاورات متعددة مع مختلف المتدخلين من مؤسسات عمومية ومنتخبين وجمعيات المجتمع.

وتم إعداد هذا المشروع بمواد محلية من أحجار وأتربة، وأنشئت بجنباته مساحات خضراء وسواقي مع خطارة توضح مختلف آليات السقي. فكان ذلك بمثابة إحياء للعلاقة

1 قابلنا كل من : السيد فيصل عوام، الكاتب العام للجمعية والسيد عمر بومهدي أمين المال لنفس الجمعة وذلك بتاريخ 18 شتنبر 2016

القديمة بين المجال الزراعي والتعمير، ولكن بأفق وأهداف مغايرة. كما تم وضع لافتات لشرح مختلف العمليات المرتبطة بالتراث المائي بالمنطقة.

وهكذا أصبحت مياه العين في حركية دائمة على شكل شلال، وكانت الفكرة مبنية على ربط علاقة متماسكة بين الإنسان وهذا المنبع المائي، الذي يرتبط عبر قناة باطنية بمزارع "تارگا". وغدا انطلاقا من سنة 2014 مجالا لاستقطاب وتوافد مختلف الشرائح الاجتماعية والفئات العمرية، حيث تم تحويله من مكان مغلق موحش إلى مجال عمومي يمكن الساكنة من لمس المياه وسماع خريرها والنظر إليها في حركية دائمة على شكل شلال¹. فعادت الحياة إلى البيئة المائية والنباتية لقلب مدينة تزنيت، لتغدو جنبات العين مجالا مفضلا للتنزه وتنظيم السهرات الفنية واللقاءات الثقافية.

لقد كان رد الاعتبار "للعين أقديم" مؤطرا بتوجهات إيكولوجية واجتماعية واضحة، مع حضور قوي للبعد التاريخي، إذ أحيى العلاقة القديمة والمتينة بين مركز المدينة ومزارع "تارگا". لهذا يمكن أن نؤكد على أن المشاهد البيئية بالمدن الواحية ليست معطى طبيعيا ثابتا، بل هي من تشكيل الإنسان وأن أي قصور أو إهمال سرعان ما يؤدي إلى تراجع الوسط البيئي. لكن العمل الجماعي، والمتابعة المتواصلة والنظرة التجديدية هي عمليات قادرة على استدامته.

الصورة رقم 2: العين الزرقاء (العين أقديم) بعد تأهيله



المصدر: عدسة شخصية، خديجة الزاهي، 22 شتنبر 2015م.

1 Naji Salima, Tiznit, réhabilitation et projet de développement durable, in *Architecture du Maroc*, N° 65, Casablanca, avril-mai 2015, 56-63

خاتمة :

إذا كانت الواحات تعاني في مجمل مناطق العالم من أزمة وتراجع، فإن تنزيت، كمدينة واحة، لا تنأى عن هذه الوضعية والتي تعود أساسا إلى هجوم التعمير على الوسط الزراعي الهش وانعدام التوازن بين الضغط الديموغرافي وقدرات الواحة المحدودة. لكن هذا لا يعني أن وضعيتها حتمية، بل إن إعادة تشكيل وهيكله واقعه ودمج وسطها الزراعي داخل التحولات البنوية التي تشهدها المدينة ومحيطها من شأنه أن يرسم لها أفقا واسعا.

ويمكن القول إن الوضع البيئي كباقي الظواهر التاريخية لا يخرج عن نطاق تفاعل الإنسان مع المجال والزمن، فالذاكرة لها فاعلية أساسية في الحفاظ على البيئة، لذا لا بد من العناية بالتراث المادي واللامادي البيئي (المعارف التقليدية في السقي- الغرس، والأماكن البيئية ذات الرمزية التاريخية)، من أجل ترسيخ الوعي البيئي في المجالات الهشة. ثم إن الوعي البيئي الذي نستشف حضوره وسط اهتمامات مختلف الفاعلين في تنزيت، يوضح أن السياسات العمومية التي تستنير بعلوم متعددة والمعتمدة على التشاور بين مختلف الفاعلين تكون نتائجها إيجابية في تدبير الإكراهات البيئية واستشراف توازن ومستقبل مغاير للمجالات الهشة. بيد أن التعمير السريع كفعل اجتماعي، يستدعي أن يأخذ بعين الاعتبار الخصوصيات البيئية للمدن الواحية، حيث ترتبط به بروز مشاكل أخرى مثل تطهير السائل وطرح النفايات الصلبة، لكن يبدو أن الإرادة الجماعية كفيلة بتجاوز مختلف التحديات.

البليوغرافيا

1. أفا عمر، مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر (سوس 1822-1906)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، سلسلة أطروحات ورسائل رقم 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1988.
2. بومزكو أحمد، جوانب من تاريخ تزنيّت أطوار تعمير المنطقة وأصول السكان، في: ندوة مدينة تزنيّت وباديتها، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، 1996، ص.ص. 23-39.
3. السوسي محمد المختار، إلبليغ قديما وحديثا، المطبعة الملكية، الرباط، 2005.
4. السوسي محمد المختار، خلال جزولة، ج.2، مطبعة المهديّة، تطوان، 1959.
5. الضبع عبد الرؤوف، علم الاجتماع وقضايا البيئة، مداخل نظرية ودراسات واقعية، دار الوفاء، مصر، 2004.
6. الكانوني محمد، أسفي وما إليه قديما وحديثا، (د.ت).
7. مسكيت محمد، الندرة المائية في تاريخ المغرب: تزنيّت ومحيطها ما بين 1778-1917، بحث لنيل شهادة الماستر، إشراف: محمد أو جامع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية القاضي عياض مراكش، الموسم الجامعي 2013-2014.
8. نافع الحسين، إشكالية موضع وموقع مدينة تزنيّت وأليات توسعها، في: أعمال ندوة تزنيّت وباديتها، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، 1996، ص.ص. 161-163.
1. Battesti V., *Jardins au désert évolution des pratiques et savoirs oasiens, Jerid tunisien*, Paris, 2005.
2. Cap Haring, *Itinéraire d'Agadir à Tiznit, 1913, Protectorat Maroc, territoire et région d'Agadir, fiches et notices de tribus, Tiznit, 1913-1926*, Centre des Archives Diplomatiques de Nantes, cote. 1MA/285/38, (s.p)
3. Cap. Salvy, *fiche de tribu, Ahl Tiznit, 26 février 1946*, Archives de Vincennes, Paris, cote : 3H2007
4. De Segonzac M., *Voyage au cœur de l'Atlas, mission au Maroc 1904-1905*, éd. Emile Larose, Paris, 1910
5. De Segonzac M., *Voyages au Maroc (1899-1901)*, 2 éd., pub. BNRM, Al maarif Aljadida, Rabat, 2009
6. El Hebil A., *La plaine côtière de Tiznit, in : ressources en eau du Maroc, domaine atlasique et sud-atlasique*, t.3, éd. du service géologique du Maroc, Rabat, 1977
7. Erckmann J., *Le Maroc modern*, éd. Challamel, Paris, 1885

8. Goeury David et Leray Louis-Emmanuel, Résilience, résistance et reconnaissance, in *Revue Géographie et cultures*, N° 101, 2017, 59-77
9. Haut Commissariat au Plan, Recensement général de la population et de l'habitat de 2004, Rabat
10. Lt. Charles Dominique, *Fiche de la tribu des ahl Tiznit, 1 mars 1953*, Archives de Vincennes, Paris, cote : 3H2007
11. Naji Salima et al., Tiznit : ain akdim, *La source à l'origine de l'oasis*, DTG société Nouvelle, 2016, Rabat
12. Naji Salima, Tiznit, Réhabilitation et projet de développement durable, in *Architecture du Maroc*, N° 65, Casablanca, avril-mai 2015, 56-63.
13. Office national de l'électricité et de l'eau potable, branche eau, agence mixte Tiznit – Sidi Ifni, évolution de la production de la source Reggada entre 2002-2013, Tiznit, 2015.
14. Patrick Pigeon, *L'environnement au défi de l'urbanisation*, Presses universitaires de Rennes, Rennes, 2007
15. Toutain G., Dollé V., Ferry M., Situation des systèmes oasiens en régions chaudes, in *Dollé V.(ed.), Toutain G.(éd), les systèmes agricoles oasiens*, Montpellier: CIHEAM, 1990, 7-18
16. Vallette Elodie et Philifert Pascale, L'agriculture urbaine : un impensé des politiques publiques marocaine?, in *Géocarrefour*, N° 89, 2014, 75-83

RIVAGES

Revue scientifique à comité de lecture

N° 3-2019

Revue semestrielle, scientifique à comité de lecture, éditée par la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Université Cadi Ayyad – Marrakech - Maroc

Directeur

Doyen de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines

Abderrahim BENALI

Coordination générale

Jamal RACHAK

Comité Scientifique

GRAVARI BARBAS Maria, IREST, Université Paris 1 Panthéon-Sorbonne, France, **ELLOUMI Mohamed**, INRAT, Tunisie, **LAOUINA Abdellah**, CERGéo, Université Mohamed V Rabat, **DEBARBIEUX Bernard**, Université de Genève, Suisse, **NAVARRO PALAZON Julio**, Escuela de Estudios Arabes des Granada, CSIC, Espagne, **SKOUNTI Ahmed**, Institut National des Sciences de l'Archéologie et du Patrimoine, Rabat, **GIRAUT Frédéric**, Département de Géographie, Université de Genève, Suisse, **HERNANDEZ ARMENTEROS Salvador**, Universidad de Granada, Espagne, **BOUBRIK Rahal**, Département de Sociologie, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Université Mohamed V de Rabat, **TOZY Mohamed**, UMRVIP et Sciences po, Aix en Provence, France, **PULVAR Olivier**, Université Antilles-Guyane, Centre de Recherche sur les Pouvoirs Locaux dans la Caraïbe – CNRS UMR 8053, **HILLALI Mimoun**, Institut Supérieur International de Tourisme, Tanger, Maroc, **PERALDI Michel**, directeur de recherche au CNRS et Centre Jacques Berque pour le développement des Sciences Sociales à Rabat (Maroc), **BOUMAZA Nadir**, Université Pierre MENDES France- Grenoble 2, **LANDEL Pierre – Antoine**, CERMOSEM, UJF, Mirabel – France, **PECQUEUR Bernard**, Institut de Géographie Alpine, PACTE (UMR CNRS 5194 – Université J. Fourier, Grenoble – France).

Comité de Rédaction :

Abderrahim BENALI - Jamal RACHAK - Khadija ZAHI- Mohamed MOUHOUB
Said BOUJROUF - Tourya BOURKANE.

Adresse

Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, B.P. 3737
Amerchich – Marrakech 40000 Maroc
Site web. <http://www.flm.uca.ma.ac> - Email : revueflm@gmail.com
Tél. 00212524302742 - Fax 00212524302039

Dépôt Légal : 2018PE0010

ISSN : 2605-6410

Le tableau en couverture est de l'artiste peintre Mahi Binebine.

Les contenus des textes publiés dans la revue n'engagent que leurs auteurs.



جامعة القاضي عياض
UNIVERSITÉ CADI AYYAD

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines

Revue des Sciences Humaines

RIVAGES

Revue scientifique à comité de lecture



N° 3 - 2019